

جماليات الخطاب النثري التوصيف ألفني للبنية التركيبية لأشكال أنثر ألفني

نوفل محيسن عجيل

كلية التربية المفتوحة

(قدم للنشر في ٢٧/٥/٢٠٢١ قبل للنشر ١٤/٩/٢٠٢١)

الملخص

تتعلق الرؤية التحليلية لأشكال الخطاب النثري، من التوجهات الحديثة، لاسيما نظرية الاجناس الادبية، التي تنظر الى النص الادبي بوصفه كلا متكاملًا ومتفاعلاً، بغض النظر عن جنسه الادبي، سواء أكان شعراً ام نثراً. وقد تناول البحث التوصيف الفني للبنية التركيبية لأشكال النثر الفني، والبنية في اطار الفهم اللساني توصف على انها نسق من العلامات، لهذا النسق قوانينه الخاصة يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي، ذلك ان البنية تتمثل في العناصر التركيبية والقوانين المنتجة لها، التي تعتمد على الرموز وعمليات التوصيل،

على ان لكل بنية منطقتها الخاص، تساهم في انتاجها سلسلة من الاستراتيجيات والقوانين والعناصر التركيبية، التي يتمظهر من خلالها التركيب النصي، الذي يتوفر على سلسلة من الاجراءات والوسائل التي تتضافر على انتاج النصوص الادبية ومنحها سماتها الابداعية، ومنها اشكال الخطاب النثري التي نحن بصدد دراسة بنيتها التركيبية فنياً، كالخطبة والرسالة والوصية والمحاورة والتوقيع والقول، بغية الكشف عن الادوات التي اسهمت في صياغتها وانتاجها تركيبياً ودلالياً.

The aesthetics of prose discourse Artistry Description of the Compositional Structure of Srose Discourse Forms

Nofal Muheisen Ajeel

Abstract

The analytical view of the forms of prose discourse is based on modern trends, especially the theory of literary genres, which view the literary text as an integrated and interactive whole, regardless of its literary gender, whether it is poetry or prose. The research deals with the artistry description of the compositional structure of the forms of artistic prose, and the structure within the framework of linguistic understanding is described as a system of signs , This system has its own laws that are characterized by internal unity and self-organization, because the structure is represented in the structural elements and the laws producing them, which depend on symbols and connection processes , However, each structure has its own logic that contributes to its production a series of strategies, laws and compositional elements through which the textual structure emerges, which is available on a series of procedures and means that combine to produce literary texts and give it their creative character, including the forms of prose discourse that we are in the process of studying the compositional structure of art. , Such as the sermon, the letter, the will, the debate, the signature and the saying, It is to reveal the tools that contributed to the formulation and production of it synthetically and semantic.

مدخل

يتجه هذا البحث الى دراسة البنية التركيبية للأشكال النثرية, توصيفا فنيا تبرز بالفحص والمعايينة جمالياتها ودلالاتها, من هنا لابد من الوقوف على مصطلحي البنية والتركيب وبيان ماهيتهما, فضلا عن دورهما في انتاج الخطاب النثري القديم, بمختلف انواعه واشكاله, المتمثلة بالخطب , والرسائل, والمحاورات, والوصايا , والتوقيعات, والاقوال المأثورة.

تعد البنية نظاما يعمل على تنظيم عناصر العمل الادبي, ويتضمن هذا النظام "مفهوم الكل والعلاقة حيث لا يمكن فهم وظيفة الاجزاء الا في علاقاتها الاختلافية مع الكل في الاجزاء داخل النظام ليس لها معنى في حد ذاتها عندما ينظر اليها معزولة" وهو ما عبر عنها سوسير بمفهوم القيمة الذي يفترض ان الوحدات اللغوية تعرف في علاقاتها التعارضية^(١) فضلا عن ذلك فالبنية تعد نسق من العلامات الباطنة وفقا لمبدأ الأولية المطلقة للكل على الاجزاء له قوانينه الخاصة المحايثة من حيث هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام

الذاتي على نحو ينفي اي تغيير في العلاقات الى تغيير في العلاقات الى تغيير النسق نفسه، على نحو ينطوي معه المجموع الكلي للعلاقات على دلالة يغدو معها النسق دالا على معنا^(٢) تمثل البنية نموذجا لعملية البناء النصية، وهي لا تمثل كيانا ماديا محسوسا يمكن ادراكه في الظاهر، حتى من خلال تحديدنا لخصائصها التي تتمثل في عناصرها التركيبية، وانما هي تعتمد على الرموز وعمليات التوصيل التي تتعلق بالواقع، فهي تتجاوز ذلك الى ما وراء الواقع.

لذا فان لكل بنية شكل خاص يمثلها ويمنحها هويتها الوجودية، وتظهر فاعليتها عندما يتحدد جنسها الادبي.

والشكل الفني هو " استجابة لاشعورية لانعكاس العلائق الاجتماعية والنفسية للتجربة والثقافة والوعي على الاديب والفنان، وفي ضوء هذه الارضية يصبح الشكل هو التنظيم الداخلي والتركيب المحدد للعمل الفني الذي يخلق عن طريق وسائط فنية للتعبير عن الغرض لكشف وتصوير المضمون " (٣)

وتأسيسا على ما سبق فان البنية تتعلق بالرؤية، التي يؤسس فيها المؤلف وجهة نظره تجاه نتاجه الادبي، اي هو الذي يصنع البنية ويمنحها شكلا ادبيا خاصا، باستخدام سلسلة الوسائل الفنية والتعبيرية، كي يحقق العمل الذي يريده والغاية التي عمل للوصول اليها، بمعنى ان توظيف هذه الوسائل يكون لغاية قد تكون شكلية على نحو ما نجده في الخطاب الانشائي، ومضمونية على نحو ما نجده في الخطاب الأيديولوجي، ولو جمعنا بين المستويين الشكلي والمضموني اي جماع القوانين والاليات التي تتفاعل داخل البنية لتحقيق غرضين اساسين، اولهما الغرض الجمالي الذي يمنح النص هويته، وثانيهما الغرض الايديولوجي اذ ينشأ في القوانين الداخلية المؤسسة للبنية فتتعرف على توجهات النصوص عبر معناها ودلالاتها.

أما فيما يتعلق بالتركيب، فالتركيب مصطلح بنيوي مرادف للبنية، وهو يمثل عمليات دمج وترابط العناصر النصية التي تؤلف العمل الادبي، أي عمليات الربط بين الاجزاء عبر كفاءات فنية غير متماثلة، تمنح كل نص ادبي شكله وهويته، وتختلف من ناحية الرؤية بحسب توجهات النصوص ومحمولاتها النصية من حيث موضوعاتها وتشكيلاتها ودلالاتها. على ان عمليات التركيب النصية لا بد من ان تتوفر على سلسلة من الاجراءات والوسائل الفنية والقوانين المنتجة للنصوص الادبية، وتمنحها سميتها الابداعية. فضلا عن ذلك فأنها تمنحها منطقتها الخاص الذي من خلاله نستطيع تلقي النصوص ومعرفة الاليات التي جرى فيها

تشكيل هذه النصوص وانتاجها. فان لكل بنية منطقتها الخاص وبنائها الذي يمثل القالب والهيكل الذي تتمظهر به. هذه القوانين الشكلية التي يبدو من خلالها التركيب النصي تتمثل بسلسلة من الاستراتيجيات الضرورية التي لا يمكن لأي تركيب او بنية الاستغناء عنها تتمثل في "أدوات الاتساق" والاحالة، والاستبدال والحذف والوصل والاتساق المعجمي، فضلا عن الجهات الاسنادية كالضمائر، وعناصر التكرار، والصياغات المألوفة وغير المألوفة، كما تشمل الاساليب الخطابية المسؤولة عن طرق تقديم النصوص".^(٤)

وفيما يخص أشكال الخطاب النثري كالخطبة والرسالة والمحاورة والوصية والتوقيع والقول، فأنا سنقوم بفحص ومعاينة بنيتها التركيبية، للكشف عن الادوات الفنية التي ساهمت في انتاجها ادبيا.

البنية التركيبية للخطبة

بما ان الخطبة شكل من اشكال الخطاب النثري، فلا بد من ان لهذا الشكل من بنية تركيبية تربط عناصره وتشد اجزائه، فضلا عن هيكلية بنائية تمنحه هويته وخصوصيته، وهي تتوفر على ثلاث مستويات اساسية تتمثل بما يأتي:

١_المطلع: هو فاتحة النص ومبتدأ الكلام، ويجب أن يكون ملائما لموضوع الخطبة ومضمونها، يتسم بالإيجاز فهو مفتاح النص، وهو بنية صغرى لبنية كبرى(النص)، وهو ما يجعله الخطيب صدر خطبته، ليثير الفكر اليها، وقد حرص النقاد العرب على ان يكون في مطلع الخطبة ما يدل على الغرض منها، فكانوا مثلا في تحميداتهم التي يبدأون بها خطبهم "يشيرون الى الغرض من الخطب، وكانوا يفرقون بين صدر خطبة الزواج، وخطبة العيد وخطبة الصلح"^(٥)

لذا عليه أن يبتعد عن الغموض أن مما هو خارج مناط التصديق، لذا نجد بنية الحمد بقت سارية لاهميتها ودالاتها القدسية.

٢_ الغرض او الموضوع: ويعد الهدف الاساس والحافز الذي تأسست فيه الخطبة. وان يتناول موضوعا موحدا وان يحافظ على تسلسل الأفكار، وليس فيه تقديم أو تأخير، وأن يكون واضحا بعيدا عن الغموض واللبس والاحتمال، وأن يكون متماسكا متلاحم الافكار، حتى لا يضعفه التفكك وتتخلخل الفكرة، وان يكون مرتبا غير مهوش، ولا مضطرب حتى يصل الى الاذن

وكانه نعمة متساوقة لا نشاز فيها, وان يكون واضحا , قاطع الدلالة على الغرض مقنعا حتى لا ياباه العقل, مغريا حتى يجذب اليه القلب, صادقا حتى لا يتسرب اليه الريب.

٣_أخاتمة:وهي نهاية الخطبة وآخر ما يصل اليه الخطيب من خلاصة اعرضه السابق, فهي آخر ما يقع في نفوس السامعين , ويجب أن تكون ملخصة الافكار في اجمال المحاور الاساسية في النهاية التي لا يتوقع السامعون مزيدا بعدها ولا تحليلا قبلها.

وبما ان الخطبة نص/رسالة فلا بد من أن تتوفر على طرفي الارشالية الكلامية والتي تتمثل في:

أ- المتكلم: وهو المرسل الذي يقوم بتوصيل خطابه, ولا بد له أن يعتمد على خاصية الارتجال, وهو الكلام غير ألمقيد بنظام كتابي, ما يفرض عليه أن يكون واعيا وحذرا مما يقول , فضلا عن ان يمتلك ذخيرة معرفية تمكنه من السيطرة على المكانم الفكرية والمحمولات النصية التي يروم توصيلها للمتلقي (المستمع) لأقناعه بصحة مقاله, ويتوجب عليه أن يرتب افكاره بشكل دقيق وهادى, وبما أنه يواجه جمهورا من الناس متلقين لخطابه, فعليه "أن يعرف اقدار المعاني, ويوازن بينها وبين اقدار المستمعين واقدار الحالات, فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما, ولكل حالة في ذلك مقاما, حتى يقيم اقدار الكلام على اقدار المعاني, وأقدار المعاني على اقدار المقامات, واقدار المستمعين على قدر تلك الحالات" (٦)

وهو ما يفرض على المرسل أن يراعي قواعد البلاغة من ايجاز واطناب, فالإيجاز خاص بالطبقة الخاصة, والاطناب بالعامّة من الناس الذين بحاجة الى الاستزادة, كي يفهموا المغزى والغرض من الرسالة, ويفرض عليه فضلا عن ذلك ان يراعي تركيب الالفاظ فلا يأتي بالغريب البعيد عن الافهام,حتى تتحقق عملية التواصل بينه وبين المستمعين.

ب-المستمعون: وهم الطرف الاخر الذي يمثل دور المتلقي للشكل الادبي, والذي من أجله نتجت الرسالة, وعليه تتوقف الفائدة, لان غاية الخطيب " إقناع المستمع , ويعني ذلك ان الخطابة مؤسسة على بنيات ذات أشكال مؤثرة في المستمع لأن غايتها إقناعه ببنيات مصنوعة قصدا لتحصيل الاستجابة" (٧)

اذ لابد من أن تتوفر على غرض عاطفي, القصد منه التأثير في نفوس المستمعين, باستنهاض حماسهم, أو دافع عقلي القصد منه إفهامهم وازالة الشك من نفوسهم, ودعوته الى التصديق والتسليم بمقال الخطيب.

أما فيما يخص البنية التركيبية للخطبة، فقد جرت العادة ان تبدأ بما جرى عليه السلف بهذه المقدمة، التي بقت سائرة ومتمثلة في مجمل النصوص الخطبية فأنا سوف نتخذ مقياسا معياريا نحدد من خلاله عناصر بنيته التركيبية لسائر الخطب. وهي بنية التحميد(الحمد لله نحمده وتستعينه ونستغفره)، ثم الاستعادة (نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا) ، ثم التقرير الأعراس (من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له)،

من ثم التشهد(وأشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله)، ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم)و ثم تأتي اللازمة الخطابية صيغة الانتقال او التخلص ،وهذه الصيغة محددة ب(اما بعد، وبعد) ، وهي اما ان تكون افتتاحية أو تفصيلية ، ثم تأتي اداة التنبيه(أيها الناس أو ياأيها الناس) ، كي يعير السامعون اسماعهم اليه، ويصغوا الى مقالته، وكي يتهيأوا لاستقبال الحديث بعد ان ينبههم، ثم تأتي الوصية وهي موجهة الى الناس ملزمة له ولهم(أوصيكم ونفسي)، ثم الموضوع المتكلم فيه ، الذي يشتمل على خطبتين، ثم الدعاء في الخاتمة الذي غالبا ما يكون بصيغة الزامية.

هذه اهم مرتكزات البنية التركيبية للخطبة في القرن الاول الهجري وما بعد، على اننا في اطار تحليل النصوص الخطبية لن نتعرض لها بعد ان فصلنا فيها القول، بل سنقف على تحليل الموضوع ومبين آلياته التركيبية، وثيماته الموضوعية.

وفي نص خطبي لسحبان بن وائل يقول فيه "ان الدنيا دار بلاغ، وان الآخرة دار قرار، ايها الناس: فخذوا من دار ممركم لدار مقركم، ولا تهتكوا استاركم عند من لا تخفى عليه اسراركم، واخرجوا من الدنيا قلوبكم، قبل ات تخرج منها ابدانكم، ففيها حبيتم ولغيرها خلقتم، ان الرجل اذا هلك، قال الناس: ما ترك؟، وقالت الملائكة ما قدم لله؟ فقدموا بعضا يكون لكم، ولا تخلفوا كلا يكون عليكم"(٨).

يرصد المنبه الأسلوب كما نطالعه في النص خرقا للمعيار القاعدي لمرتكزات البنية التركيبية ، التي ذكرناها أنفا ، اذ انه قدم تيمة النص الاساسية التي تشكلت عبر خاصية التوازي التركيبي بين الدنيا والآخرة، على الصيغة الندائية التنبيهية(ايها الناس)، التي عادة مايفتح بها النص، على الموضوع/الوصية، لغاية بالغة القصدية يروم من ورائها المرسل توصيلها الى المتلقين، وبيان اهمية هذا التقديم بالجملة التقريرية التوكيدية(ان الدنيا دار بلاغ، وان الآخرة دار قرار)، كي تكون الفكرة ماثلة للعيان، قارة في الاذهان، والتي تقوم على الإشارة الازدواجية بين الحي/الانسان، والجماد الدنيا التي طبق عليها مقياس الاستبدال التي تقوم على

صيغة المشابهة ما بين الدنيا والدار مع فارق في الهيئة، وتساوق في الدلالة، في إشارة الى انها ليست سوى سبيل للأخرة ليس الا. فضلا عن الاشارة الدليلية الى الاخرة/قرار للدلالة على الاستقرار الذي لا يزول، والخلود الابدي الذي لا يفنى ولا ينقضي.

ثم نطالع الوصية التي تشكلت عبر متتالية جمليه تنهض على الصيغة الامرية الالزامية(فخذوا/أخرجوه)،التي تقرر عدم التعلق بحب الدنيا، فضلا عن أسلوب النهي(ولا تهتكوا اسراركم).ومن الاساليب التركيبية التي نطالعها اسلوب التقديم والتأخيرفي(ففيها حبيتم، ولغيرها خلقتم)، ففي تقديم الجار والمجرور على الحملة الفعلية(حبيتم، خلفتم)، وضمير الهاء الغائب الذي يحيل الى الدنيا، يعزز من فاعلية التقرير الفهامي والتدليل القصدي على ثيمة الدنيا الغائبة، الأخرة الباقية، من ثم التساؤل الافتراضي الذي احكمه المنطق الاشتراطي ، الذي يتضمن عقد مقارنة منطقية بين اعمال الانسان الدنيوية، والاعمال التي تخص الاخرة(قال الناس ما ترك؟، وقالت الملائكة ما قدم لله؟)، فمقياس ما يتعلق بالدنيا كل ماهوسي مادي، ومقياس ما يتعلق بالأخرة كل ما هو روعي معنوي. وهو سبيل الخلاص الفوز برضا الخالق عز وجل.

ونطالع في خاتمة النص ان المرسل يقرر عبر الصيغة الالزامية الامرية التي تشكلت بأسلوب التوازي التركيبي(فقدموا، ولا تخلفوا)،على فعل الأعمال الصالحة التي تقترن بالأخرة/الجنة.

أما فيما يخص البنية الضمائية، فقد بنيت على الغائب والمخاطب، فضمير الغائبة يعود على الدنيا والاخرة بقريئة(هي)، والضمير (هو) الذي يعود على الناس والملائكة، اما فيما يخص المخاطب فقد استحوذت هذه الصيغة على اكثر من نصف الكم الجملي للتركيب في الافعال الامرية(فخذوا، واخرجوا، وقدموا، في حين حازت صيغة الغائب على النسبة الاقل، وهذا امر بدهي فهو أي المرسل يخاطب الناس الحاضرين. فلا بد من تكرار الخطاب لصيغتي الامر والنهي كي يبقوا على تواصل معه بقصد افهامهم، فالوصية والنصيحة موجهة لهم، عبر اسلوب العطف النسقي عمل على ترابط وتماسك النص، وانسجام الفكرة التي يريد توصيلها.(ممرم، ممرم، اسراركم، استاركم، لكم، عليكم،)، فقد أضفت خاصية التسجيع بصيغة الخطاب الجمعي التذكيري(الكاف والميم)، نوعا من الايقاع، كي تكون المقصدية أكثر إستقبالا وتأثيرا.

وفي نص خطبي للحجاج بن يوسف الثقفي يقول فيها: "أيها الناس: اذعوا هذه الانفس، فانها أشأل شيء إذا أعطيت، وأعصى شيء إذا سئلت. رحم الله امرأ جعل لنفسه خطاما وزماما، فقادها الى طاعة الله، وعطفها عن معصية الله، فاني رأيت الصبر عن محارم الله، أيسر من الصبر على عذاب الله"(٩).

وتكشف الرؤية التحليلية لهذا النص، عن جملة من التقنيات التركيبية والأسلوبية والدلالية، افتتح النص كالعادة بعبارة (أيها الناس) التي تشخص نوعية المتلقين، فضلا عن الخصيصة التركيبية التي نهضت بها (أي) الأستفهامية التنبهية الندائية، ثم تأتي بعدها مباشرة الصيغة الالزامية الامرية التي تضمنت ثيمة النص الاساسية المركزية (الانفس). التي تفرعت منها سائر جمل النص (اذعوا هذه الانفس)، اذ جاء فعل الامر (اذعوا) الذي يحيل الى الجمع التذكيري بوصفه يخاطب جمعا من الناس، لتفتح عبر تقنية التوازي التركيبي النحوي والصرفي التي تنهض على اسلوب التوكيد (فأنها)، (اشال شيء اذا اعطيت/ واعصى شيء اذا سئلت)، في اشارة تدليلية على ان المرسل يتوخى اعلى درجات الشح والبخل في حالتي الامساك والعطاء، وقد افاد من توظيف صيغة العطف النسقي الذي احكم بنيتي هاتين الجملتين وقد حذف (فانها) في

الجملة الثانية وهي بحكم الموجود، فالجملة الثانية تأخذ حكم الماقبلها، ثم بنية الدعاء (فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاما واماما، فقادها الى طاعة الله، وعطفها عن معصية الله)، وهو لم يخاطب يصوره مباشرة، بل عمد الى ضرب المثل لتقريب الى الالذهان في صورة من التجسيد الاستعاري اذ رسم للنفس صورة الناقة فكما يتحكم بالناقة من خلال الخطام، كذلك النفس وكبح جماحها وغرائزها، وأن يتخذ لها القدوة الصالحة اماما ومرجعاً لها في سائر الأحيان والاحوال. ومن تم اسلوب التوكيد بقريئة (فاني) الذي يقرر فيه النصح والتوجيه من خلال توظيف تقنية التوازي التركيبي (رأيت الصبر عن محارم الله، ايسر من الصبر على عذاب الله). وقد افاد المرسل من نحويا من افعال التفضيل عزز بها خطابه ك (اشال) التي تدل على اعلى درجات البخل، (اعصى) التي تدل على اعلى درجات البخل. فضلا عن افعال التفضيل (ايسر) في اشارة تدليلية الى فعل الصبر الايجابي عن كل ما نهى الشارع فهو يسير جدا قياسا الصبر عن عذاب الخلود في الاخرة.

أما فيما يخص بنية الضمائر فقد جاءت عبر صيغ المخاطب (ايها الناس)، والغائب (الانفس) التي جاءت بصيغة جمع التكسير للحط من شأنها، وضالة قدرها، والمتكلم

(رأيت) الذي ينم عن خطاب احاطة ومعرفة بالغ القصدية. التي يختتم بها خطبته بالوعظة التي تقرر فعل الصبر وتوظيفه في الجانب الايجابي في السيطرة على غرائز النفس، وتوجيهها الى طاعة الله، وتجنبها الوقوع في الزلل والضلال والطغيان

البنية التركيبية للرسالة

تتوفر الرسالة على بنية تركيبية خاصة، تشكل الهيكلية العامة لتركيبها، وعلى الرغم من ضلوع الرسالة الإسلامية بشكل عام، لمعايير الصنعة الأدبية، الا ان تشكيلها العام من مرسل الى مرسل اليه، قد يداخله التعديل والتقديم والتأخير، والحذف والاضافة، واجمالا يمكن تشكيل البنية التركيبية النموذجية للرسالة بحسب معايير الصنعة الأدبية المتعارف عليها على وفق الآتي : (١٠)

--البسمة

٢_ترتيب المرسل والمرسل اليه

_التسليم

٤_التحميد

٥_صيغة الانتقال أو ألتخلص(أما بعد، وبعد) ونحوها.

ونضيف اليها الغرض أو المغزى، الذي يروم المرسل توصيله الى المرسل اليه، وهو يفهم من السياق العام إستنادا الى المعنى السياقي.

٦_الخاتمة: التي غالبا ما تنتهي بعبارة(والسلام عليك) او على التلقي سواء أكان المرسل اليه او أمتلقي بشكل عام.

لا تلتزم هذه العناصر بالضرورة هذا الترتيب المنطقي، سواء تعلق الأمر بالعنصر الواحد، أو بمجمل العناصر المتشكلة منطقيا، بل كثيرا ما تتداخل العناصر بحسب الموقف وما يتطلبه السياق الحال، ولا شك ان السمة الجمالية والإبداعية المترشحة عن صيغ تشكيل البنية التركيبية للرسالة، ولا يتعلق بالتسلسل المنطقي فحسب ولا بخرق هذا التسلسل، وإنما يتعلق بقدرة الرسالة على تفعيل الادوار البنوية لهذه العناصر، كل بحسب صيغته وقدرته على

التوصيل، وانسجامه في موقعه، بحيث يؤدي المهمة المنوطة به، من دون إخلال أو زيادة أو نقصان، ويكون مقبولاً فضلاً عن ذلك من المتفحص الناقد، نعني به التلقي النموذجي الذي يستطيع تحديد مكامن الابداع في عموم عمليات التحادث والتراسل الكتابي، فضلاً عن سياقات الحال ومتطلبات الرسائل المرجعية والسياقية.

ففي رسالة لعمر بن عبد العزيز إلى أحد عماله، سوف نقف عند البنية التركيبية، فضلاً عن آليات التركيب النصي، ونحن نقدم نص الرسالة "أما بعد، فأني اكتب اليك أمرك ان ترد على المسلمين مظالمهم، وتراجعني، وانت تعرف بعد مسافة ما بيني وبينك ولا تعرف أخذات الموت، حتى لو كتبت اليك (أردد على مسلم مظلمة) لكتبت الي اردها عفرا او سوداء؟ انظر ان ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعني" (١١).

يبدو هذا النص من حيث البنية التركيبية منطقياً جداً، لاسيما انه جاء على نمط اتساق معهود، فالبسمة والتحميد هما بحكم الوجود، كما ذكرنا آنفاً، فضلاً عن انه يكشف عن طبيعة العلاقة بين المرسل/ال خليفة عمر، والمرسل اليه واليه على اليمين، مما تدل عليه الجملة التقريرية التوكيدية التي جاءت بعد اللازمة الخطابية (أما بعد)، (فأني اكتب لك أمرك)، التي تكشف عن النبوة الانفعالية عبر الصيغة الإلزامية الامرية.

ولو تفحصنا موضوع الرسالة، نجد صيغة الأسناد الخطابية، (فإني أكتب إليك)، محددًا بالعنصر الوجودي الشخصي الذي يمثل الدور القائم بالأرسال الكلامي، فضلاً عن اننا نلمح الاسناد الموكل اليه استلام هذه الرسالة، المحدد هنا بالضمير (انت)، (اليك)، من ثم يأتي بعد ذلك العنصر الثاني في سلم التراتب المنطقي وهو التقرير، الذي تتمظهر فيه الثيمات المنتجة للنبوة الانفعالية، وتقرير الجهة المنتجة للخوف، (الموت) المسند الي (أخذات) التي تشير للمفاجأة والمباغته الغير محددة بزمن، كصيغة استدلالية لتعزيز فاعلية التقرير، وتفعيل الحجة التي يريد المرسل الاستدلال بها، كصيغة إقناعية تحث المرسل اليه على التصديق والتسليم من خلال اسلوبي الاثبات والنفي (أنت تعرف بعد مسافة ما بيني وبينك/ولا تعرف أخذات الموت)، التي تشعر المرسل اليه بمدى غفلته عن الموت. بعد ذلك تأتي الصيغة الاشرطية الافتراضية، اذ ينبني الكلام على المتعلقات الجمالية، التي ان صح وقوع احدها صح وقوع الاخر، (حتى لو كتبت إليك: أردد على مسلم مظلمة) التي جاءت بأسلوب التثنية (مسلم/مظلمة)، للدلالة على العموم فضلاً عن التنفيذ دون مراجعة، وهذا التشريط متعلق بثيمة سوء الادراك والفهم بالنسبة للمرسل اليه، لأنه يدقق في التفاصيل التي لا يريده الخليفة

ان يكون كذلك (لكتبت الي أردھا عفراء أو سمراء؟). ويتضح من ضرب هذا المثل ان المرسل يدل على غياب المرسل اليه، والمثل هذا ليس حقيقيا، لكنه يحيل الى سلسلة من المكاتبات التي تمت بين المرسل والمرسل اليه بقرينة (أكتب اليك/وتراجعني/وتكتب الي)، فأراد المرسل ان يتخذ المرسل اليه من هذا المقال عبرة ينتصح فيه وإلا عزله، لاسيما أن الصيغة الأمرية فضلا عن صيغة النهي التي يختتم المرسل رسالته بها (انظر ان ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعني) توضح نبرة الانفعال التي يمكن استشعارها من مقاله والتي تعبر عن نفسيته الغاضبة من المرسل اليه وفضلا عن ذلك يكشف النص عن قدرة الخليفة البالغة على ادارة الامور بالشكل المطلوب، وبالصيغة الحازمة، كما يكشف عن سوء اختياره وعدم تدقيقه في اختيار عامله، بمعنى ان مجال الصلاحية محدد وضيق.

وفي رسالة للحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز هذا نصها "أما بعد ياأمير المؤمنين: فكان الذي كان لم يكن، وكأن الذي هو كائن قد نزل. واعلم ياأميرالمؤمنين: ان الصبر وان أذائك تعجيل مرارته، فلنعم ما أعقبك من طيب حلاوته، وحسن عاقبته، وان الهوى وان اذائك من طيب حلاوته، فلبئس ما أعقبك من مرارته، وسوء عاقبته، واعلم ياأمير المؤمنين ان الفائز من حرص على السلامة في دار الاقامة، وفاز بالرحمة وأدخل الجنة" (١٢).

يكشف النص في بنيته التركيبية والاليات المنتجة له، عن طبيعة العلاقة بين طرفي الأرسالية المرسل والمرسل اليه، في صورة التراتب المنطقي، الذي نلمحه في صيغة الاسناد الخطابى الموكل اليه استلام الرسالة، والمحددة ب(ياأمير المؤمنين) بأسلوب التكرار ثلاث مرات، لتفعيل ذاكرة المتلقي واثارة انتباهه للمحمولات النصية التي تضمنتها الرسالة، فالأسلوب الندائي مفتوح النص(ياأمير المؤمنين) والذي تعزز بالتوازي التركيبى الذي ينهض على اسلوب التوكيد بقرينة الاداتين (كان/قد)، فضلا عن اسلوب النفي والاثبات(فكأن الذي كان لم يكن/وكأن الذي هو كائن قد نزل) ليحيل المرسل اليه في الزمن الماضى ونفى كينونته بقرينة(لم يكن) واثبات الزمن الحاضر وتأكيد كينونته (قد نزل)، واما الصيغة الندائية الثانية(واعلم ياأمير المؤمنين)، فالفعل (اعلم) ينم خطاب احاطة واعلام بالغ القصدية الى مرسل اليه خاص/حاضر فقد جاء لتقرير مسألتين عدت ثيمتا النص الاساسية (الصبر/الهوى) التي تفرعت منهما سائر الجمل عبر تقنية التوازي التركيبى المتقابل:

ان الصبر وان أذائك من تعجيل مرارته
وأن الهوى وأن اذائك من
طيب حلاوته

فلتعم ما أعقبك من طيب حلاوته وحسن عاقبته
فلبئس ما أعقبك من مرارته
وسوء عاقبته

نطالع اسلوب التوكيد في الثيمتين المتقابلتين (الصبر/الهوى) معززتين بان التوكيدية، فضلا عن اسلوب الشرط الكامن في (وان اذاقك/فلنعم، فلبئس)، وفضلا عن ذلك نجد توظيفا للطباق وباسلو المح والذم بين (نعم/بئس) المؤكنتين باللام، وبين (مرارته/حلاوته) و (حسن/سوء).

واما الصيغة الندائية الثالثة (واعلم يا امير المؤمنين) فقد تلتها الجملة التوكيدية (ان الفائز من حرص على الاقامة في دار الاقامة)، لتعزيز المقصدية لدى المرسل اليه وترغيبه في الاخرة التي لا تحصل الا بالصبر، التي طبق عليها مقياس الاستبدال (دار) التي تقوم على الاشارة الازدواجية بين الدار/الاخرة والتي تنهض على صيغة المشابهة مع فارق في الهيئة وتساوق في الدلالة على ان المرسل هاهنا يقرر ان الفوز بالجنة هو النتيجة المترتبة على فعل الصبر. ونلاحظ فضلا عن الاساليب التركيبية توظيفا للتجنيس الاشتقاقي في (الفائز/فاز)، والتسجيع الكامن في (حلاوته/مرارته/عاقبته، والسلامة/الاقامة)، وهاتان الخاصيتان اضفتا على النص نوع من الايقاع جاء منسجما مع طريقة التوصيف والتقرير كي تكون المقصدية اكثر استقبالا وتشويقا وتأثيرا.

البنية التركيبية للوصية

تعتمد الوصية بوصفها شكلا من أشكال الخطاب النثري على المحاور الاتية:

١_ المرسل: وهو الموصي وقد يكون الاب او الام، او الخليفة او الوالي، او شيخ خبر تجارب الحياة، وهناك وصايا الاشخاص والافراد، وقد تكون بدافع حب الاب لابنه، ويتطوع رجل لأخر يبدي اليه نصحه، وقد تكون فردية او جماعية.

٢_ الرسالة: او الموضوع الذي يريد الموصي توصيله لمن يوصي اليهم.

٣_ المرسل اليه: وهو الموصى ويكون معني بالرسالة بشكل خاص، فالخطاب موجه اليه بقرينة الضمائر، ومن ثم تكون الوصية برمتها موجهة القارئ الفعلي الذي تكون الوصية موضوعا لقراءته.

ولابد من إن لهذا الشكل الخطابي النثري من خصائص تميزه وتمنحه هويته، ويمكننا اجمالها بما يأتي (١٣).

١_ الوصية: لون أدبي يتميز اسلوبه بالبساطة والعرض المنطقي للأفكار، والتوسل بالصيغ الطلبية لقضاء الحاجات وإنفاذها سواء في الحياة أو بعد الممات، وتكون غالباً قصيرة.

٢_ هي نوع من الأدب الحي الرفيع المنزلة تنتقى الفاظها انتقاء ممتازاً تكون فيها الرؤية واضحة، والاسلوب منظماً، والمنهج قويمًا، وتتعلق بمجالات حياتية متعددة.

٣_ وهي فن قائم بذاته، تختلف عن الخطبة والرسالة بانهما لا يكونان مرة واحدة في الحياة، وتكون الوصية لمرة واحدة، كما أنها أقل انتشاراً منهما، وتعتمد على الإقناع والتأثير، إقناع العقل وإثارة المشاعر بفعل امر أو بترك آخر.

٤_ تعتمد الوصية على الاستشهاد والإقتباس كصيغة تدعيمية للتقرير الحكمي، ويكون الإقتباس من الشعر والأمثال والحكم.

٥_ اسلوبها في الغالب يكون مرسلًا بفقرات قصيرة يتوخى الإيجاز والدقة في التعبير.

٦_ ويلاحظ في الوصايا العاطفة فيها بانئة، والاحساس يكون دقيقاً ومؤثراً ومبكياً أحياناً، مما نلمحه في الوصايا الدينية، أما السياسية فأنها تفرض تنبئها عقلياً، وإدراكاً ملتزماً.

وفي وصية أسماء بن خارجة لابنته: (١٤) تتدرج في إطار نوع من الوصايا يطلق عليه الوصايا الاجتماعية يقول فيها: "يابنية، ان الامهات يؤدبن البنات، وان امك هلكت وانت صغيرة، فعليك بأطيب الطيب الماء، وان احسن الحسن الكحل، واياك وكثرة المعاتبة، فانها قطيعة للود، واياك والغيرة، فانها مفتاح الطلاق، وكوني لزوجك امة يكن لك عبدا واعلمي اني القائل لامك:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتني حين اغضب

ولا تنقريني نقرة الدف مرة فانك لاتدريين اين المغيب

فاني رأيت الحب والصد والاذى اذا اجتمعا ام يلبث الحب يذهب"

يتضح ان موضوع الوصية هو (الزواج)، وهو ما تكشف عنه المحمولات النصية التي تشكل من خلالها النص، ومن ناحية البنية التركيبية فان النص ينهض على جملة من الاساليب التركيبية النحوية والصرفية والاسلوبية، يفتح النص بالصيغة الندائية (يابنية) التي دلت على نداء القريب و القرب يفهم هاهنا على انه مادي او معنوي، واسلوب التوكيد

بقرينة (ان) المؤكدة في اربع جمل، في الجملتين الاولى وجاءت الثانية تقريرية في قوله: (ان الامهات/ان امك)، تكشفان على ان الوصية من هذا النوع هي من اختصاص الام لا غير، وبما ان الام ليست على قيد الحياة فسيتمص الاب هذا الدور، اما في الجملتين الثالثة والرابعة فقد جاء التوكيد من خلال الاسلوب الشرطي الذي جاء بأسلوب التحذير (اياك)، وهذه البنية التحذيرية الشرطية تدل وتكشف عن الزام الموصى له (الابنة) ان يتجنب ثمتين اساسيتين يتعلق بهما النجاح والفشل، ألا وهما (المعاقبة/الغيرة)، فضلا عن الصيغة الالزامية الامرية التي جاءت بصيغة فعل الامر (عليك) التي بنيت على جملتين مستقيدا من تقنية التوازي التركيبي والتي جات متوازنة صرفيا ونحويا.

(اطيب الطيب الماء/ احسن الحسن الكحل). التي نلمح فيها الجناس الاشتقائي الذي اضفى على النص نوعا من الايقاع كي يكون اكثر استقبالا وتأثيرا. اما الصيغة الالزامية بأسلوب الامر (كوني لزوجك امة يكن لك عبدا). وهذه الصيغة الاشتراكية، اذ يبني الكلام على المتعلقات الفعلية التي ان صح وقوع احدهما صح وقوع الاخر والعكس صحيح، وهذا التشريط متعلق بثمتي الفشل والنجاح اللتين يترتب عليهما مصير الانا المخاطبة، وفضلا عن ذلك نلاحظ صيغة العطف النسقي قد تم نوظيفها على المستوى التركيبي الذي عمل على ترابط الجمل المشكلة للنص. وحتى يستدل المرسل على صحة مقاله فانه جاء بالتضمين من الشعر كي يعزز من فاعلية وصيته وإقرارها في نفس الموصى له (الابنة)، ولاسيما إن هذا التضمين قد جاء مناسبا جدا للسياق العام النص فضلا عن ان في هذا التضمين كسر لافق التوقع وهو احد استراتيجيات القراءة، فالشعر الذي ضمنه ليس مقتبسا من شعر شاعر اخر كما هو معروف بداهة، بل هو من انشاد المرسل ذاته، قاله في اول لقاء بزوجه التي هي حقيقة والدة الموصى له (الابنة)، من هنا فقد ادى دوره الفاعل في الاستقبال والتأثير في المتلقي.

اما بالنسبة لبنية الضمائر فقد تشكل النص بصيغتي المخاطب المشخص

ب(انت) بقرينة

(يا بنية/ عليك/ اياك/ كوني)، والغائب (هي/ هو) بقرينة (الماء/ الكحل/ المعاقبة/ الغيرة/ يكن)، وقد استحوذ ضمير على ثلث مساحة النص تقريبا، وهو امر طبيعي لان المخاطب هو المعني والقصود مت تشكل هذه الرسالة.

وفي وصية لرجل ينصح فيها هشام بن عبد الملك يقول فيها: "يا أمير المؤمنين، احفظ عني اربع كلمات، فيهن صلاح ملكك، واستقامة رعيتك، قال وما هن؟ قال: لاتعد عدة

لاتفق من نفسك انجازها, ولا يغرنك المرتقى وان كان سهلا اذا كان المنحدر وعرا, واعلم ان للأعمال جزاء, فاتق الله في العواقب, وان للأمر بغتات, فكن على حذر" (١٥).

فمن الاساليب التركيبية والاسلوبية التي نطالعها اسلوب النداء, الذي افتتح به النص وهو هاهنا لمناداة القريب, (ياأمير المؤمنين) بقرينه (يا) التثبية الندائية التي تكشف عن العلاقة بين المرسل والمرسل اليه التي شخصت هوية المنادى (الموصى له/ الخليفة), بوصفه صاحب السلطة الدينية والسياسية العليا, فضلا عن هوية المرسل وهو رجل من عموم الرعية يقدم نصحه للخليفة. ومن الاساليب النحوية نجد الصيغة الالزامية الامرية (احفظ), والامر هاهنا غير حقيقي مجازي بوصف الموصى اقل مرتبة من الموصى له, من ثم التركيب الجملي الذي يقوم على الاجمال والتفصيل (احفظ عني اربع كلمات), لتهيئة المرسل اليه وشد, فواضح من صيغة الترقيم التي نص عليها الرقم (اربع), حيث كان هذا الاجمال بمثابة اشارة اولية للتفصيل, وهو خطاب بالغ القصدية اراد من ورائه المرسل تهيئة المخاطب وتشويقه لمضمون وصيته, خصوصا اذا كان المخاطب هو المعني بالوصية, فهي بلا ادنى شك تتعلق بشؤون الرعية وامور الحكم في اسلوب التقديم والتأخير (فيهن صلاح ملكك, واستقامة رعيتك), وترتبط هاتان الجملتان ب(الاربع كلمات) المذكورة انفا, بقرينة (فيهن), فضلا عن صيغة العطف النسقي فقد تم توظيفها على المستوى التركيبي التي تعمل على ترابط هاتين الجملتين, ذلك ان المؤشر العقلي الذي اصبح بؤرة لهما قد تم تقريره في الجملة الاولى, وتم حذفه في الجملة الثانية وهو بحكم الموجود فيها بقرينة العطف النسقي الذي يجعل الثاني داخلا في حكم الاول. ومن ثم يقرر مضمون الوصية الذي ينهض على اسلوب النهي والنفي (لتعد/ لا تشق/ لا يغرنك, فضلا عن تقنية الثنائيات الضدية في (المرتقى, المنحدر/ سهلا, وعرا), وهذا التضاد انسحب تأثيره على الجملة برمتها, والنتيجة المترتبة على الأعمال الغير مدروسة بعناية فائقة, إذ اصبح لدينا تشخيصين لوضعيتين متقابلتين ومتوازيتين من حيث الطول حيث ان التركيب الاسلوبي كان له تأثيره الصياغي والتشكلي, اذ احدث بينهما نوعا من التوازي الذي يحكمه منطق التوكيد الكامن في (لا يغرنك), بعد ذلك نلاحظ الفعل (اعلم) الذي ينم عن خطاب احاطة واعلام بالغ القصدية الى موصى له خاص/حاضر ليقدر مسالتي عبر التركيب المتوازي:

ان للأعمال جزاء..... فاتق الله في العواقب

ان للأمر بغتات..... فكن من الموت على حذر

الذي جاء متوازيًا تركيبياً ودلالياً يقوم على ربط الأعمال بالنتائج عبر أسلوب التقديم والتأخير قدم الخبر على المبتدأ بواسطة إن التقريرية التوكيدية المشبهة بالفعل (إن للأعمال جزء، إن للأمور بغتات)، والصيغة الأمرية في (فاتق الله في العواقب/فكن من الموت على حذر)، فضلاً عما يرصده المنبه الأسلوبية من الحذف في خاتمة الوصية (فكن على حذر) التي جاءت تكراراً وتوكيداً لما قرره آنفاً، وقد شكلت هذه البنية الأمرية التوكيدية الثيمة الأساس التي تشكلت من أجلها الوصية برمتها والتي علت فيها النبرة الخطابية بهذا الأسلوب والتقدير الوعظي_ التحذير من الموت وكأنه يريد أن يقول له تب قبل موتك أوكن تائباً دوماً.

البنية التركيبية للمحاورة

أما فيما يخص البنية التركيبية للمحاورة فيمكننا إجمالها بما يأتي:

١_ المرسل: وهو يمثل المتحاورين كليهما، فهما يتبادلان الأدوار في تقديم الأسئلة والاجوبة، وتتحقق بذلك عملية التواصل بينهما فضلاً عن التفاعل الذي يستوجب فيه التوضيح والافهام، وقوة الدليل والبرهان العقلي، فكلما كان قويا حفز الآخر على الاجابة بما هو قوى وارجح.

٢_ موضوع المحاوره او الفكرة التي من اجلها تشكل النص، وقد يكون هذا الموضوع او الفكرة دينية او سياسية او اجتماعية، لذا تكمن وظيفة الحوار في الرسالة التي يبغى المتحاوران توصيلها.

٣_ المرسل اليه: وهو يمثل كلا المتحاورين ضمن مدار التواصل في الرسالة، ويمثل ايضا المتلقي الفعلي الذي يكون قارئاً للمحاورة.

ولابد للمحاورة من اغراض قد تكون شخصية ذاتية، ذات وظائف نفعية علمية او ايدلوجية، وقد تكون ذات اغراض معرفية، الغاية منها الافهام والتعلم في اظهار الحقيقة، او اغراض اجتماعية هدفها التوجيه والارشاد تضم الجاهل والمتعلم معا فيكونان على بصيرة منها.

وفي نص حوارى للحسن البصري مع رجل: "قال رجل للحسن: كيف اصبحت؟ قال: بخير، قال كيف حالك؟ فتبسم الحسن ثم قال: لا تسال عن حالي، ما ظنك بناس ركبوا سفينة، ثم توسطوا البحر، فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على اي حال هم؟ قال الرجل: على حال الشديد، قال الحسن حالي اشد من حالهم، فالموت بحري والحياة سفينتي،

والذنوب خشبتي، فكيف يكون حال من وصفه كذا يابني؟ فلا بد من ترك الذنوب والفرار الى
علام الغيوب".(١٦).

ينهض هذا النص(المحاور) على بنية الاستفهام التي تعتمد الاسئلة والاجوبة،
فسؤال الرجل(كيف اصبحت؟) دلالة الاستفهام فيه واضحة اذ الزمت المخاطب الاجابة قال:
بخير لذا يعد استفهاما حقيقيا، أما سؤال الرجل المحاور الاول: (كيف حالك) فالأمر هاهنا
مختلف تماما فالإجابة بقت معلقة جاءت بأسلوب النهي (لا تسال عن حالي)، فضلا عن
مباغثة المستفهم باستفهام ينعم عن براعة كبيرة في إدارة دفة الحوار، وتهيئة المخاطب
للأصغاء فالاستقبال والفهم، من خلال الافادة مت تقنية بلاغية اسلوبية تمثلت في التجسيد
التي تبرز المعنويات في صورة المحسوسات والماهيم والافكار في تشبيهات وصور بلاغية
ماثلة للعيان، وهذا النوع من الاستفهام يعد استفهاميا مجازيا(ما ظنك) يرسم من خلاله صورة
مكونة من ثلاث علامات، لكل علامة وظيفتها النفعية(البحر/السفينة/الخشبة) تقوم على
المقارنة مع ثلاث علامات معنوية وعلى التقابل بين كل طرفين متافرين داخل هذه
الصورة(الموت/البحر/الحياة/السفينة/الذنوب/الخشبة)، والتي افاد المرسل من تقنية التوازي
التركيبية الذي شكل هذه المتتالية الجمالية بهذا التركيب المتوازن لشد انتباه المخاطب كي
يستوعب ويفهم الحالة النفسية التي يعيشها محاوره ويتيحاً لاستقبال الاستفهام الحقيقي خلال
السؤال(علي حال هم؟) ليسلم المخاطب بقناعة لا تحتمل التردد(على حال الشديد)، ومن ثم
ليثبت المرسل سوء حاله (حالي اشد من حالهم)، ولا يكتفي المرسل بهذا بل يضيف بنية
استفهامية اخرى تعدت الحقيقة الى المجاز(فكيف حال من وصفه كذا؟) اذ لا ينتظر الجواب
بل انصرفت الى التعجب، واضعا الحلول لنفسية المخاطب القلقة والتي تتلخص في مسالتين
تقريبتين اختتم بها النص(فلا بد من ترك الذنوب والفرار الى علام الغيوب)، فقد تمكن المرسل
بأقناع المخاطب باستخدامه الحجج العقلية والادلة المنطقية، يرمي من وراءها الى التوجيه
والإرشاد. من خلال التبادل أضمائري بين المتحاورين.

وفي نص حوار بين أسليك بن السلكة والحجاج "دخل على الحجاج ليك بن السلكة
فقال: اصلح الله الامير، اعزني سمعك، واغضض عني بصرك، واكفف عني حزبك، فان
سمعت خطأ او زللا فدونك والعقوبة، فقال: قل: فقال: عصى عاص من عرض العشيرة، فطلق
باسمي، وهدمت داري، وحرمت عطائي، قال: هيهات اما سمعت قول الشاعر:

جانك من يجني عليك وربما تعدي الصحاح مبارك الجرب

ورب مأخوذ بذنب عشيرة ونجا المقارف صاحب الذنب

قال: اصلح الله الامير, سمعت الله قال غير هذا, قال: وماداك؟ قال:(ياأيها العزيز ان له ابا شيئا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين. قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون), قال الحجاج علي بيزيد بن مسلم فأتي به فمثل بين يديه فقال: فكك لهذا عن اسمه, وأصكك له بعبائمه, وابن له منزله, فامر مناديا ينادي في الناس صدق الله وكذب الشاعر".(١٧).

تشكلت بنية هذا النص الحوارى من بعض الاساليب التركيبية النحوية والصرفية, وبما ان غاية المحاوره التأثير والاقناع عبر الدليل والبرهان العقلي والمنطقي, تشكلت البنى التركيبية عبر تقنية التوازي التركيبي, فنطالع اسلوب النداء الذي افتتح المحاور الأول به نصه (اصلح الله الامير), التي تكررت مرتين في النص الغاية منها استعطاف الامير, والتي تلتها متتالية جمليه جاءت بالصيغة الامرية بقرينة الافعال كفف(اعرني/أغضض/أكفف), تقترن بثلاثة مفاعيل تخص المخاطب بدلالة كاف الخطاب(سمعك/ بصرك/حزبك), فضلا عن اسلوب الشرط, وتعلق هذه الخاصية الاشرطية النتيجة بالسبب, والعكس صحيح بقرينة(إن)الشرطية(فإن سمعت خطأ او زللا فدونك والعقوبة), فقد تمكن المحاور الاول من اقناع وتهيئة المخاطب لسماع مقالته وعرض حجته في متتالية جمليه مستفيدا من تقنية التوازي التركيبي الذي اضفى على النص شيئا من التوازن بثلاثة افعال بصيغة المبني للمجهول اقترنت بصيغة نائب الفاعل(فلق اسمي/هدمت داري/حرمت عطائي), فضلا عن ظاهرة التجنيس الاشتقاقي في(عصى عاص). ويعمد المحاور الثاني فقد الى التضمين كي يدعم غرضه ويعزز من فاعلية حجته تجاه سياسته القمعية وما يترتب عليها من اخذ البرى بالمجرم والمحسن بالمسيء, كما هو معروف عنه بدهائه, اما المحاور الاخر فقد دحض حجة المخاطب باستناده واستدلاله بما هو اجل من الشعر واسمى من قول البشر الا هو القران الكريم بقوله:(سمعت الله قال غير هذا), لذا وظف عنصر التضمين ليعزز من فاعلية الاشارة التدلالية التي تدعم حجته وتثير انتباه المخاطب لمقاله, قال: وما ذاك؟ فكان استدلاله بالاقْتباس من اي الذكر الحكيم جاء مناسبا جدا للسياق العام في تفعيل حجته واقناع متلقيه وابطال زعمه ما حدا به الى الاعتراف بخطاه, واعادة الحق لا صاحبه مقرا ومصرحا (وامر مناديا ينادي في الناس صدق الل وكذب الشاعر).

ومن الخصائص التي تضمنتها المحاورات، اعتمادها على المنطق، ولاسيما ما يتعلق بعرض الأدلة القائمة على المقدمات والنتائج المعززة بالأقيسة الخطابية والبرهانية، والملكة الناضجة والوعي والادراك، فضلا عن انها في تشكيلها الجمالي لا تخلو من توظيف الصيغ اللغوية كالدعاء والرجاء والاستفهام والتعجب والشرط. والصيغ المجازية التي تساعد على تفعيل الحجة وتقرير الرأي.

البنية التركيبية للتوقيعات

التوقيع شكل ادبي يندرج في اطار النثر الفني، امتاز بجملة من الخصائص، تمثلت في انها ذات قيمة ادبية من حيث الايجاز والبلاغة وذات اثر جمالي في النفوس، فضلا عن انها تمثل براعة وقدرة بلاغية مجازية بالغة القيمة، وهي "تعليقات الوزراء والرؤساء على ما يرفع اليهم من الرسائل والقصص، وكانوا يتوخون فيها الايجاز في اللفظ، والبلاغة في المعنى" (١٨). ومن مميزاتنا انها تشغل مكانا معينا في حاشية الرسالة المرفوعة الى الخليفة او الوالي.

اما فيما يخص البنية التركيبية للتوقيعات فإنها تتكون مما يأتي:.

١_ المرسل: وقد يكون الخليفة او الوزير او الوالي.

٢_ الرسالة: وغالبا ما تكون مؤلفة من موضوع ذي اغراض ووظائف محددة، قد تكون توبيخا او وعظا او تهديدا او تحذيرا او مشورة، وقد تكون حكمة او مثالا، او الزامية اذا ما شابها التهديد والوعيد، او اختيارية اذا ما تضمنت الوعظ والارشاد.

٣_ المرسل اليه: يكون في الغالب احد الولاة او الافراد، وبحسب مقام هذا المرسل اليه تتشكل الهيكلية البنوية والتركيبية للتوقيعات.

وقد تكون مضامينها سياسية أو دينية أو اجتماعية.

وهي بحسب تشكيلها النحوي وسعتها الدلالية، فإنها قد تكون جملة وقد تكون نصا، وهي غالبا لا تتجاوز الجملة سواء كانت كلمتين او اكثر. ولا نستطيع ان نلمح فيها سلسلة الاجراءات والتقنيات التي تشكل نصا كاملا، ولكننا يمكن ان نجد فيها ركائز اساسية ومحورية تتألف منها هذه التوقيعات، وهذه الركائز نحوية او اسلوبية وتضمينية ايضا.

ففي توقيع معاوية بن ابي سقيان لأحد الولاءة هذا نصه "أدارك في البصرة أم البصرة
في دارك" (١٩)

وينهض التوقيع على ركيزة نحوية اساسية تمثلت ببنية الاستفهام بقرينة الهمز
الاستفهامية ووجود ام المعادلة الدالة عليها, لكن انصرف الاستفهام هاهنا الى غرض مجازي
تهكمي من مقال عامله المبالغ فيه الذي يريد بناء دار بهذا الحجم.

وقد نلمح المؤشرات الالزامية الاشتراطية كما في توقيع لعمر بن عبد العزيز "لو
ذكرت الموت لشغلك عن نصيحتك" (٢٠) فأداة الشرط لو ألزمت المرسل اليه وجعلت تحقق
القول الثاني متعلق بالأول.

وهناك التضمينات الموقعة التي تناسب طبيعة الموقف والمقام, وتحقق مراد المرسل ومن
اقناع المرسل اليه وهو ما نطالعه في توقيع اخر لعمر بن عبد العزيز استشهدا بكتاب الله الى
رجل ولاه الصدقات وكان دميما فعدل واحسن "ولا اقول للذي تزدي اعينكم لن يؤتيهم الله
خييرا" (٢١). فالمرسل اليه هو عامل للخليفة كتب الى الخليفة في شان هذا الرجل, فوقع له هذا
التوقيع, ليحقق مراد الخليفة, وليقنع المرسل اليه معززا بهذا الفعل وتوجهاته التي يرغب الخليفة
ان يسير عليه سائر ولاته وعماله.

ونجد فضلا عن ذلك بعض الركائز النحوية التي ينهض عليها التوقيع كأسلوب التوكيد
في توقيع للوليد بن عبد الملك يقول فيه "لأجمعن المال جمع من يعيش ابدًا, ولأفرقنه تفريق
من يموت غدا" (٢٢).

وتنهض البنية التركيبية لهذا التوقيع على اسلوب التوكيد (لأجمعن/لا فرقن) بقرينة اللام
ونون التوكيد الثقيلة عبر تقنية التوازي التركيبي المتقابل (يعيش ابدًا/يموت غدا), لتتصرف
الدلالة الى قوة هذا الخليفة وقدرته الفائقة في تنفيذ سياسته المالية ملا يدع مجالًا للمرسل اليه
مراجعته بهذا الخصوص.

يتبين مما تقدم ان التوقيعات ذات قيمة وفاعلية, حيث اليجاز والقدرة البلاغية,
والقوة الكامنة في الالفاظ, وسمو المعنى, وهي اثبت اثر وجمالية في النفوس لصغر مساحتها
وسعة دلالتها.

البنية التركيبية لأقوال المأثورة

تكون البنية التركيبية في هذه الاقوال على هيئة جمل نحوية على وفق منطق نحوي معياري، وقد يحكم بنية هذه الجمل القولية والعلامات اللسانية، منطق الشرط غالبا الذي يعلق الفعل بجوابه، فيكون تحققه مشروطا بتحقق فعله، وقد تكون هذه الاقوال ذات مقصديه تفصيلية، اذ يأتي بمكون ثم يتم تفريعه وتفصيله الى متتالية من الجمل مسند بعضها الى بعض.

وتتركب هذه الاقوال من ثلاث مؤشرات بنيوية تتمثل في المتكلم، والموضوع او الرسالة التي تتضمنها، ثم المرسل اليه، وهذا المرسل اليه (المخاطب) قد يكون شخصا مقصودا بذاته، او مجموعة اشخاص بوصفها حكمة او نصيحة على الاخر الالتزام بها، وهي شكل من الاشكال النثرية التي اهتم بها العرب، وهي حكم تداولها الناس، وتمتاز بالدلالة مع الايجاز (٢٣).

وفي قول للأحنف بن قيس "تحابوا تجتمع كلمتكم، وتبادلوا تعادل اموركم، وأبدأوا بجهاد بطونكم وفروجكم، يصلح لكم دينكم، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم" (٣٤).

تأسست البنية التركيبية لهذا النص القولي برمتها على منطق الشرط، على الرغم من خلوها من الاداة الشرطية، وبذا تكون بنية شرطية ضمنية، نلمح من خلال المكونات النحوية المؤشرات الالزامية الامرية التي علقها السبب بالنتيجة (تحابوا/تجتمع، تبادلوا/تعادل، ابدأوا/يصلح/ ولا تغلوا/ يسلم)فالتوازي التركيبي الذي تضمن هذه الجمل جاء بشكل متوازن فنجد افعال الشرط الزامية أمرية تقابله افعال الجواب مضارعة جاءت متوازنة في بنيته الصرفية والنحوية، بمعنى ان قبلتم نصيحتي فسوف تتحقق الغاية المرجوة من وراء ذلك، فضلا عن اننا نلمح توظيفا لظاهرة التسجيع الكان في ضمير الجمع المخاطب (الكاف والميم) واضفت هذه الخاصية على النص نوعا من الايقاع جاء منسجما وطريقة التعبير، كي تكون المقصدية اكثر استقبالا وتأثيرا.

وفي نص قولي اخر للأحنف بن قيس ينهض على الاجمال والتفصيل "أربع من كن فيه كان كاملا، ومن تعلق بخصلة منهن كان من صالحى قومه: دين يرشده، أو عقل يسدده، أو حسب يصونه، أو حياء يفتأه" (٢٥).

يتضح من صفة التقرير التي ينصص عليها بالترقيم (أربع)، حيث كان هذا بمثابة إشارة اولية للتفصيل بأربع ثيمات موضوعية تقريرية كانت متوجهة نحو المخاطب بصيغة

التخيير بقريئة(و) العاطفة التي تفيد التخيير، فالمخاطب مخير هاهنا للأخذ بجميع او بوحدة من هذه الخصل كي تتحقق الغاية المثلى التي يبغي من وراءها المتكلم لمخاطبيه ان يكونوا عليها.

ونطالع تقنية الاجمال والتفصيل في هذا النص القولي لمالك بن دينار "لم يبق من روح الدنيا الا ثلاثة: لقاء الاخوان، والتهدد بالقران، وبيت خال اذكر الله فيه"(٢٦).

وتقوم البنية التركيبية لهذا النص على الاجمال والتفصيل فواضح من صيغة التقرير التي ينصص عليها بالرقم (ثلاثة) اذ كان هذا الترقيم بمثابة اشارة اولية للتفريع بثلاث ثيمات موضوعية استثنائية، اثنتان منهما تتعلق بالمخاطب عموما، والثالثة تتعلق بالمتكلم خصوصا بقريئة ضمير المتكلم الكامن في الفعل(اذكر). فضلا عن ان هذا التركيب القولي تشكل على اسلوب النفي والاثبات، والاستثناء فالدلالة تتصرف على ان الدنيا مجردة باستثناء ما ذكر من المحبة والعبادة الذكر خاليا هي غاية ما يبصره في الدنيا وما يراه.

ومن خلال مطالعتنا للبنية التركيبية لهذه الاقوال، وجدنا بعضها يتأسس على الصيغة الشرطية التي تعلق الفعل بالجواب، فيكون تحققه مشروطا بتحقق فعله، ويندرج هذا النوع من الصيغ في اطار المنطق المعياري الذي يربط الاسباب بالنتائج كقول ابراهيم بن ادهم "من اراد ان يتوب، فليخرج من المظالم، وليدع مخالطة الناس وإلا لم ينل ما يريد"(٢٧).

لقد تشكلت بنية هذا النص القولي على وفق المنطق المعياري النحوي، وقد تأسس على الصيغة الشرطية التي تربط الاسباب بالنتائج، فالجملة الشرطية(من) تكونت من الفعل اراد والمصدر المؤول ان يتوب، اما الجواب فكان فعلين اثنين جاء بالصيغة الالزامية الامرية(فليخرج/فليدع) مستقيدا من تقنية العطف النسقي الذي يعمل على ترابط الجمل وتماسكها، فالمرسل من خلال هذا المنطق علق فعل التوبة بمسالتين شخصيتين بترك الذنوب والعزلة، وإلا فلن تتحقق الغاية المرجوة ولا يحصل المراد.

وهكذا نجد أن هذه الاقوال لم تكن من البساطة الفنية والتركيبية، إذ يمكن عدها اقوالا اعتيادية بحسب توجهاتها الوعظية الداعية الى المباشرة والدعوة الخطابية التقريرية، لكنها امتازت بميزات جمالية عززت من قيمتها وفعاليتها النحوية والأسلوبية والدلالية، لذا نجد ان لهذه الاقوال سلسلة من الخصائص الفنية الكامنة فيها، فهي من حيث الحجم لا تتعدى الجملة الواحدة ذات صياغة اسلوبية مميزة ومؤثرة، بمبناها ومعناها وبإيقاعها، لاسيما ان الغالب فيها

يأتي مسجوعا وذا تركيب أسلوبى متوازن، وتوزيع كلماتى متماسك. ومن ميزاتى إيجازها ودقة معناها وسعتها التدليلية والإشارية، فضلا عن قدرتها على اختزال تجربة واسعة والإشارة إليها ضمنا أو تصريحاً حسب ما يقتضيه المقام، وهى لا تتطلق اعتباطاً، وإنما هى مخصوصة بظرف يستدعى ظهورها وانتاجها، وحافز يدفعها إلى التماثل لغوياً. ولا يمكن أن تعد هذه الأقوال نمطاً مستقلاً بذاته، إذ أنها غالباً مأتاتى كعنصر تكميلى لأنماط وأشكال نظرية أخرى كالخطبة والرسالة والوصية والمحاورة، فنكون بمثابة أفعال للمعنى وللدلالة وتلخيصها اجمالياً كما ذكرنا انفاً من أفكار وموضوعات. وفضلاً عن ذلك فهى من ناحية الأغراض تؤكد الإرشاد والتوجيه والنصح والتربية والافهام والتثبيته والتحذير، والعظة والعبرة فضلاً عن الأغراض الجمالية الأخرى، وهى من حيث تركيبها البنوية والإرسالية فهى تشمل المرسل الناطق بها، والرسالة التى تتضمن فكرتها وموضوعها، فضلاً عن مرجعياتها ووظائفها، ثم المتلقى أو القارئ الذى يستلمها كتابياً أو شفاهياً، فىكون معنى فى فك رموزها وشفراتها وإيحاءاتها الدلالية، لذا ليست الأقوال عبارات جاهزة ومستهلكة، وإنما هى حاجة ملحة يستدعيها السياق الحالى والمقامى فضلاً عن الظرف الخطابى. والأقوال بوصفها شكلاً نظرياً فإنها فى إطار محمولاتها النصية وما تتضمنه من توجهات ايدلوجية خاصة بها، قد تكون دينية أو سياسية أو اجتماعية.

الخاتمة

بعد استقراء ومعاينة أشكال الخطاب النثرى المتمثلة فى الخطب والرسائل والوصايا والمحاويرات والتوقيعات والأقوال، فى هذا العصر، والتى اخضعناها للتحليل على وفق نظرية الأجناس الأدبية التى تحتكم للنص اللغوى الذى يأخذ امتيازاً انطلاقاً من معايير وقوانين جمالية وانساق معرفية تسهم فى صوغه وانتاجه، التى تنظر إلى الخطاب بغض النظر عن جنسه الأدبى، على أنه كلا كاملاً ومتفاعلاً وكانت ابرز نتائج البحث:

١- لا يمكن بأية حال فهم البنية التركيبية لأشكال الخطاب النثرى، ومعناه الدلالي، مالم تستعرض السياقات النحوية والنصية، فدراسة التركيب النصى كشفت عن قيمة هذه المؤثرات الأسلوبية ودورها الفاعل تشكيل البنية السطحية والعميقة للنص.

٢- حضر التوازى التركيبى على اختلاف أشكاله وانماطه فى مجمل هذه النصوص، فقد احكم بنيتها وربطها فى نواة دلالية واحدة.

- ٣— تصافر الاساليب النحوية المتمثلة بالاستفهام والنفي وانهي والصيغ, على احكام بنية هذه النصوص على المختلفة, وقد سجل الاسلوب الشرطي ظاهرة بارزة ومنبها اسلوبيا, في اثاره المشاعر لما يحدثه من التفاتات وعدول من الصيغ التركيبية لما لها من اثر في تحقيق الدلالة.
- ٤— لبنية الضمائر الدور الفاعل في اثاره الانتباه, من خلال الانتقالات بين من ضمير المتكلم والمخاطب والغائب.
- ٥— حققت الاساليب الانشائية والطليبية, بكسر النسق والتحول من صيغة لأخرى وخرق تركيب الجملة المتمثل في التقديم والتأخير, فضلا عن تكرار بعض الصيغ لما لذلك من اثر في تأكيد الفكرة وتقريرها في النفوس. ويجد البحث ضرورة دراسة اشكال النثر في اطار التوجهات الحديثة التي تمتلك قاعدة علمية رصينة, التي تخضع البحث لتبني موقف موضوعي مع مراعاة خصوصية النصوص وتوجهاتها الايدلوجية.

الهوامش

- (١) سيمائية النص الادبي انور المرتجي, مطابع افريقيا الشرق, ط١, الدار البيضاء ١٩٨٧: ١٥
- (٢) عصر البنيوية من ليفي شتراوس الى فوكو, أديت زويل, ت جابر عصفور, دار أفاق عربية, بغداد, ١٩٨٠, ص: ٢٨٩
- (٣) إشكالية المكان في النص الادبي, ياسين النصير, دار الشؤون الثقافية العامة, ط١, بغداد, ١٩٨٦م: ٣٨٩
- (٤) لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب, محمد خطابي, المركز الثقافي العربي, ط١, بيروت ١٩٩١م: ١٦, ٢٤
- (٥) زهر الآداب وثمر الالباب, ابو اسحق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ), محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الجيل ن ط٤, بيروت ٢١٩٧: ٩٦



- (٦) البيان والتبيين الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت(د.ت)، ١٠٦/٢، وهامش، ٢٥
- (٧) الاصول المعرفية لنظرية التلقي، ناظم عودة خضر، دار الشروق، ط١، عمان ١٩٩٧م: ٢٥
- (٨) سرح العيون: ٩٥ نقلا عن جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، احمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت: ٤٨٢/٢
- (٩) عيون الاخبار، ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت(٢٦٧هـ)، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة،(د.ت)، م ٢٤٦/٢
- (١٠) النثر الكتابي في العصر الاموي، محمد فتوح احمد، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٤م: ١٠٦
- (١١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي(ت٥٧١)، ضبطه وشرحه وعلق عليه الاستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤ بيروت ١٩٨٤، ص: ٩٧
- (١٢) ألحسن البصري، ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، نشره حسن السندوبي، القاهرة ١٩٣١، ص: ٥٤
- (١٣) أثر القرآن الكريم في الادب العربي في القرن الاول الهجري، ابتسام مرهون الصفار، دار الرسالة، ط١، بغداد، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م: ١٧٣
- (١٤) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني(ت٣٥٦هـ)، بت محمد علي الجاوي، اشراف محمد ابو الفضل ابراهيم، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٠، ١٢٨/٨
- (١٥) زهر الآداب وثمر الألباب، أبو اسحق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني(ت٤٥٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٤، بيروت ١٩٧١م: ١٨/٣
- (١٦) تنوير الاذهان، الشيخ اسماعيل البر وسوي، تحقيق محمد علي الصابوني، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد(د.ت)، ٤٠/١٤
- (١٧) العقد الفريد، ابن عبد ربه الاندلسي (ت٣٧٢) تحقيق ، احمد امين واحمد الزين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٣، ١٣٨٤ القاهرة ١٩٦٥م، ٦/٣
- (١٨) البرهان في وجوه البيان، أبو الحسن اسحق بن ابراهيم بن وهب الكاتب(ت٢٧٢هـ)، ت د. احمد مطلوب، د. خديجة الحدبثي، مطبعة العاني، ط١ بغداد ١٩٦٧، هامش: ٢٠٢
- (١٩) جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العربية، بيروت(د.ت): ٥٨٠/٢



- (٢٠) العقد الفريد، ابن عبد ربه الاندلسي، (٣٢٧هـ)، ت احمد امين واحمد الزين و ابراهيم الابياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٤ ١٣٨ القاهرة ٣ - ١٩٦٥ هـ : ٤/٢٠٨
- (٢١) جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، احمد زكي صفوت، المكتبة العربية، بيروت (د.ت) ج ٥٧٥/٢
- (٢٢) جمهرة رسائل العرب في عصور العربية أزهرة، احمد زكي صفوت، المكتبة العربية، بيروت (د.ت) ٥٨٧/٢
- (٢٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان ط٢، بيروت ١٩٨٤ : ١٦٦
- (٢٤) ألبیان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت (د.ت): ٤/٦٢
- (٢٥) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ابو العباس شمس الدين بن خلکان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧ م : ٤/٦٢
- (٢٦) الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الانوار في طبقات الاخيار، ابو المواهب بن علي بن احمد الانصاري الشافعي المصري المعروف بالشعراني، ط١، ١٣٧٣ - ١٩٥٤ م، ١/٣٧
- (٢٧) سير اعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن احمد الذهبي، فريق من المختصين، دار الفكر بيروت ١٩٨٦ م ٣٨٩/٧